الوثيقة

تصدر عن
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين
العدد العاشر، السنة الخامسة
جمادى الأولى ١٤٠٧هـ، يناير ١٩٨٧م

بن أحمد آل خليفة

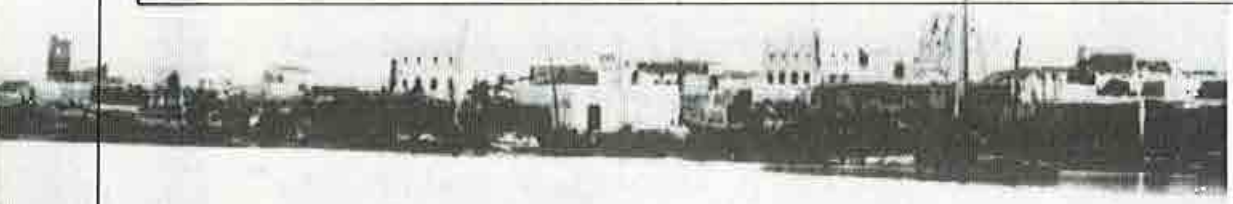

بقلم : الشيخ عبدالله بن خالد ال خليفة

عرضنا فى الجزء الأول من هذا البحث والذى نشر بالعدد الثامن من « الوثيقة » تحت نفس العنوان، لنشأة الشيخ سلمان بن أحمد ال خليفة وتوليه الحكم فى الزبارة والبحرين سنة ١٢٠٩ هـ الموافق ٩٤ ـ ١٧٩٥ م عقب وفاة والده الشيخ أحمد الفاتح وعرضنا خلال

البحث للسمات الشخصية التى تميز بها الشيخ سلمان بن أحمد وطريقة معالجته للأمور وتعامله مع الحوادث التى مرت بها الدولة الوليدة وأنتهينا فى الجزء الأول عند معركة « اخكيكيره» وهى المعركة البحرية التى انتهت بهزيمة ابن عفيصان وارحمة بن جابر وتمكنهما من الهرب فى قارب الى قطر وكيف قام الشيخ سلمان بن أحمد بعد ذلك بتأسيس مدينة الرفاع واتخاذها مقرا لسكناه وكيف قام أخوه الشيخ عبدالله بن أحمد ببناء قلعته فى حالة أبى ماهر وتأسيسه مدينة المحرق واتخاذها مقرا لسكناه . ونعرض فى هذه الصفحات للجزء الثانى من تاريخ حياة الشيخ سلمان بن أحمد ال خليفة والحوادث التى مرت فى عصره والتى تكون جزءا من تاريخ البحرين ومن تاريخ تأسيس الدولة الحديثة التى نعيش اليوم فى رحابها .

بعد استعادة الشيخ سلمان بن أحمد لحكمه على البحرين تمتعت البلاد بفترة من الهدوء الحذر استمرت اربع سنوات من سنة ١٢٢٥ هـ حتى سنة ١٢٢٩ هـ (١٨١١ م - ١٨١٥ م) فقد كانت علاقة البحرين بسلطان مسقط خلالها قوية وكانت حكومة الامام سعود مشغولة بحربها مع طوسون باشا ابن محمد على ولا تستطيع أن تفتح جبهة أخرى خاصة بعد هزيمة ارحمة بن جابر الجلاهمة فى موقعة اخكيكيرة والتى اثبتت أن الهجوم على البحرين ليس بالأمر الهين .. اضافة الى ذلك فان الامام سعود بن عبدالعزيز انتقل الى جوار ربه . وانسحبت القوات السعودية من قطر كما انتقل ارحمة بن جابر الجلاهمة من خورحسان الى الدمام وبنى له قلعة فيها ولكنه لم ينس هزيمته فى موقعة اخكيكيرة ● فأخذ يواصل الحاحه على الحكومة السعودية لمساعدته على غزو

● ذكرت هذه الموقعة فى كتاب « نقل الأخبار فى وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار » تاليف حميد بن سلطان بن حميد الشاس مراجعة الاستاذ فالح حنظل الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م ص ٣٧ ويقول المؤلف « جرت وقعة تنورة - يقصد اخكيكيرة - البحرية بين ارحمة بن جابر بن عذبى الجلهمى ومن معه من

البحرين والثأر من ال خليفة ولكنه لم يجد استجابة من الحكومة السعودية فانتهز فرصة الخلاف الذى حدث بين السيد سعيد بن سلطان البوسعيدى سلطان مسقط وبين حكام البحرين واتصل بسلطان مسقط ، يحرضه على مهاجمة البحرين ويعرض استعداده للمشاركة، وقد أثار ذلك عليه غضب الحكومة السعودية وعلى رأسها الامام عبدالله بن سعود الذى خلف والده المغفور له الامام سعود فى الحكم فأمر بمهاجمة قلعة ارحمة فى الدمام وقد تم تنفيذ الأمر على الفور وطرد ارحمة بن جابر من الدمام فهاجر الى فارس سنة ١٢٣٠ هـ الموافق ١٨١٦ ● ونزل بقرب بوشهر ومن هناك استأنف اتصالاته بسلطان مسقط الذى كانت العلاقات بينه وبين البحرين قد ساءت بدرجة أكبر وواصل ارحمة بن جابر تحريضه على غزو البحرين ويعرض عليه مساعدته . وفعلا بدأ سلطان مسقط يتحرش بالبحرين وبدأ ذلك التحرش بتعرضه لخمس عشرة سفينة من سفن البحرين على مقربة من مسقط ونهب حمولتها واحتجزها .

عند هذا الحد لا بد من وقفة .. فقد ظهرت ملامح المؤامرة التى تحاك ضد البحرين كما أميط اللثام عن الاطراف المشاركة فيها والتى كانت تستهدف القضاء على الدولة الوليدة قبل أن يشتد عودها واغراقها فى بحر من المعارك يحول بينها وبين دعم أركان الحكم . وقد التقى فى هذه المؤامرة عدد من الاطراف هم .

○ **ارحمة بن جابر الجلاهمة** الذى لم يتوقف يوما واحدا بعد هزيمته فى اخيكيكيرة عن اثارة كل القوى المحيطة ضد البحرين وعن التماس

رعايا السعود وبين الخليفة أمراء البحرين ومن معهم من ال صباح أمراء الكويت وكانت المعركة من العنف لدرجة ان ميازيب السفن سالت دما ويقدر عدد القتلى بالف وخمسمائة قتيل فى عدادهم دعيج الصباح وراشد بن عبدالله ال خليفة وشبت النار فى سبع سفن انفجرت فيها مخازن البارود وتطايرت اقسامها ومن فيها .

ويذكر فى أخبار هذه الموقعة ان الشيخ عبدالله بن أحمد عندما جاءه خبر مقتل ابنه راشد اثناء المعركة قال ارموه فى الخن ياما فى ظهرى من راشد مما يدل على عنف المعركة .

(الباحث)

● ذكر لوريمر فى الجزء الثالث من دليل الخليج صفحة ١٢٠٢ أن أمير الوهابيين أسخطه انقلاب ارحمة بن جابر عليه فقام باضطهاده بكل الوسائل التى ملكتها

العون من هنا وهناك . وبعد فشله فى الحصول على هذا العون من الحكومة السعودية اتصل بسلطان مسقط مما أدى الى طرده من الدمام

ومن فارس حيث لجأ هو وأسرته اتصل بالمقيم السياسى المستر بروس لنفس الهدف .

○ **مستر بروس المقيم السياسى فى الخليج** والمقيم فى بوشهر والذى كان يمثل السياسة الانجليزية فى الخليج وكانت تقوم فى هذه الفترة على الحيلولة دون قيام أى قوة مستقلة وقوية على الشاطىء قدر الامكان وتغذية الصراعات بين القوى المحلية لتتبدد قواها وتنشغل بصراعاتها .

○ **السيد سعيد بن سلطان سلطان مسقط** وهو أول حاكم عربى بالخليج يعقد تحالفا مع الانجليز .

○ **الحاكم العام فى اقليم فارس**

وقد بدأت خيوط المؤامرة باتصال ارحمة بن جابر بالمستر بروس وحكى له ما تعرض له من الطرد من الدمام بسبب ال سعود وال خليفة . وفى نفس الوقت اتصل ارحمة بسلطان مسقط بمباركة وتشجيع مستر بروس وكانت النتيجة كما ذكرنا أن بدأ التحرش باحتجاز سلطان مسقط لسفن البحرين الخمس عشرة ونهب حمولتها واعتقال من فيها وكان من بين الذين قبض عليهم سلطان مسقط الشيخ عبدالرحمن بن راشد الفاضل وسفينته (الجابرى) ومحمد بن مقرن بن محمد ال خليفة وسفينته ومحمد بن صقر المعاودة وسفينته (السلطانى) وغيرهم من أهالى البحرين . وقد سجن الرجال المقبوض عليهم فى قلعة (الجلالى) بعد ذلك اتصل سلطان مسقط بحاكم شيراز وعرض عليه خطة لغزو البحرين وطلب منه امداده بألف فارس واربعمائه جواد وقد وافق حاكم شيراز على ذلك بشرط أن يقوم سلطان مسقط فى حالة فشل الحملة على البحرين بدفع كل تكاليف الحملة مع غرامة سنوية لحاكم شيراز أما اذا نجحت الحملة وتم الاستيلاء على البحرين فان على سلطان مسقط فى هذه الحالة أن يدفع

يداه وفى يوليو ١٨١٦ م أمر بتدمير قلعة كان ارحمة بن جابر قد شيدها فى الدمام على ساحل الاحساء وتمكن هذا بجهد شديد من انقاذ أسرته وممتلكاته ونقلها الى خور حسان . وكان امير الوهابيين قد أمر بأن تنقل هذه جميعا الى الدرعية . وأخيرا فى اكتوبر سنة ١٨١٦ م وصل ارحمة الى بوشهر لاجئا منفيا تصحبه ٥٠٠ اسرة وكان معه عدا القوارب الصغيرة سفينتان كبيرتان وسفينة متوسطة وعدد من السفن الصغيرة وما زالت السواحل الغربية والشمالية تحتفظ حتى اليوم بآثار قلاع تنسب الى ارحمة بن جابر .

عشرة الاف تومان سنويا لحاكم اقليم فارس الايرانى . ووافق سلطان مسقط وبدأ الاستعداد للحملة . فكتب لأهل البحرين ينذرهم بالحرب وضمن كتابه الآية الكريمة : « ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون »● فرفضوا تهديده وردوا عليه بجواب جاء فيه « إن ... وإن » وذلك اشارة الى الآية الكريمة : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون »●●

وأعد سلطان مسقط حملته وفى ١٩ يوليو ١٢٣٠/هـ ١٨١٦ م ابحرت الحملة من مسقط قاصدة البحرين يقودها السيد سعيد بن سلطان وقد ضمت معظم أطراف المؤامرة فبعد مغادرتها مسقط انضمت اليها ثلاث سفن من بوشهر بأمر الحاكم الايرانى كما انضمت اليها فرق مختلفة من العرب من ميناءئى كنكون واعسيلوه وكذلك قوات ارحمة بن جابر الجلاهمة وبينما كانت الحملة فى طريقها الى البحرين كان الطرف الباقى من اطراف المؤامرة وهو المستر بروس المقيم البريطانى فى بوشهر يقوم بدور آخر أكثر خبثا ودهاء .

فقد وصل المستر بروس الى البحرين وكان هدفه الرئيسى هو معرفة مدى قوة ال خليفة واستعدادهم الحربى لمواجهة الحملة التى بدأت بالفعل طريقها الى البحرين ولكنه أخفى هذه المهمة الرئيسية وراء مجموعة من المناورات . لقد التقى بعد وصوله بالشيخ عبدالله بن أحمد ال خليفة والشيخ سلمان بن أحمد ال خليفة وأعلن أنه يريد أن يعرف طبيعة الخلاف فعرض عليه الشيخان أسلوب التحرش الذى مارسه سلطان مسقط وكيف انه استولى غدرا على خمس عشرة سفينة من سفن البحرين وكيف انه ارسل انذارا بالحرب واعلانه أن السفن الحربية الانجليزية سوف تشترك معه فى هجومه على البحرين اضافة الى اغلاق الموانىء الهندية التى تسيطر عليها بريطانيا فى وجه أى جهة على عداء مع سلطان مسقط ورد المستر بروس بأن موقف الحكومة البريطانية هو الحياد وانها لن تساعد سلطان مسقط فى هجومه على البحرين ولكى يزيد من عملية التمويه ويظهر حسن نيته عقد مع الشيخ عبدالله والشيخ سلمان اتفاقية بذلك وهى بالطبع اتفاقية غير رسمية

● النحل ـ ٣٧ ـ

●● ال عمران ، ـ ١٦٠ ـ

اذ لم يفوض من حكومته بعقدها والهدف منها كان فقط لتغطية مهمته الحقيقية ونعتقد أنها تشبه الاتفاقية التى عقدها مع الشيخ حسن بن أرحمة القاسمى أمير رأس الخيمة فى سنة ١٨١٤ م●

وقد رد عليه الشيخ عبدالله بن أحمد قائلا انه اذا ضمن حياد بريطانيا فانه قادر على حماية البحرين لأنه على علاقة ودية مع الدولة السعودية . ولم نعثر حتى الآن على نص هذه الاتفاقية مما يؤكد انها كانت فقط مجرد مناورة امتاز بها اسلوب الكابتن بروس لتغطية مهامه الحقيقية فى اللعب على كل الخيوط. على أى حال عند هذا الحد غادر بروس البحرين وبعد رحيله مباشرة كانت الحملة التى يقودها سلطان مسقط قد وصلت الى مياه البحرين . ولكن البحرين كانت قد استعدت لمواجهتها واحتشد أهل البحرين للدفاع عن بلدهم فردموا مدخل خور القليعة بالحجارة واغرقوا فيه السفن القديمة بعد أن ملأوها بالحجارة كما اغلقوا مداخل البحرين في الشمال عند الساية. وقد دلت هذه الاجراءات الدفاعية على بعد نظر الشيخ عبدالله وأخيه الشيخ سلمان ومعرفتهما بأسلوب الحرب البحرية وبالطريقة التى يفكر بها الجيش المهاجم وبالطريقة الدفاعية الفعالة لحماية الجزيرة .

لقد توقعا أن القوة المهاجمة سوف تتجه الى خور القليعة لتتخذ بذلك موقعا متوسطا للهجوم بين المحرق والمنامة وهو موقع يجعل الجزيرتين فى مدى مدافع المراكب كما يجبر المدافعين الى تقسيم جيشهم قسمين قسم للدفاع عن المحرق وآخر للدفاع عن المنامة مما يتيح للقوة المهاجمة التغلب على كل قسم بسهولة . وقد صدق هذا التوقع فتوجهت القوة المهاجمة بالفعل الى خور القليعة ولكنها فوجئت باغلاقه فلم يجد سلطان مسقط أمامه سوى الاتجاه الى جزيرة سترة فنزلت قواته بها واحتلتها وبقيت القوات المهاجمة بها ولم يحاول السلطان أن يتقدم خوفا من أن يبتعد عن سفنه وحتى لا يوسع من جبهة القتال مما يعطى للبحرين فرصة التفوق عليه . ومن الناحية الأخرى كانت قوات البحرين تضم المشاة وكانوا ينقسمون قسمين تحسبا لاحتمال وقوع الهجوم من أكثر من جهة قسم يقوده الشيخ عبدالله بن أحمد ال خليفة وقد تجمعت قواته فى المنامة وزحفت الى جد على حيث

● اتفاقية بين الكابتن بروس وحسن بن أرحمة القاسمى فى ٢٢ تشرين الأول ١٨١٤ م . راجع الملحق فى نهاية البحث .

اتخذت مواقعها وسط النخيل . وقسم تجمع فى الرفاع تحت قيادة الشيخ سلمان بن أحمد ال خليفة وقد أصر رغم كبر سنه على الاشتراك فى المعركة وقد اعد له جمل ركبه على رأس قواته أما الفرسان فكانوا تحت قيادة الشيخ خليفة بن سلمان ال خليفة وقد كمنت قوات البحرين للقوة المهاجمة دون أن تتسرع بالهجوم حتى يتأكدوا من خطة المهاجمين ويطمئنوا الى عدم قيام أجزاء من جيش السلطان بمهاجمة مناطق اخرى من البلاد وبقوا كذلك ثلاثة أيام حتى ساور القلق السلطان الذى لم يكن يدرى ما يدور فاستدعى ارحمة بن جابر الجلاهمة وقال له « فين اعتيباتك يا شيخ ارحمة .. غابو (يعنى ماتو) فأخذت الحمية ارحمة بن جابر ورد قائلا : يجهزون عشاك ياسيدنا .

وفى الصباح وهو صباح اليوم الرابع انسحب ارحمة بن جابر وجنده من سترة واتجه بسفنه مستهدفا الالتفاف حول المحرق من الشمال لمهاجمة المنامة ونهبها أثناء انشغال القوات البحرينية بالقتال مع السلطان ولكنه ـ وهو الخبير بالبحر ـ حالفه سوء التقدير اذ كان عليه ليصل الى بغيته أن يتجه شمالا وكانت الريح تهب من الشمال مما أجبره على أن (يجاوش) ● خاصة وسفنه كانت شراعية وكانت النتيجة انه تأخر كثيرا فى الوصول وفى نفس الوقت وهو صباح اليوم الرابع لنزول القوات فى سترة واثناء الجزر بدأ السلطان فى التقدم الى (العكر) وفوجىء بظهور قوات البحرين من بين النخيل وهم يرفعون اعلامهم ويدقون طبولهم واشتبكت طلائع القوة المتقدمة مع قوات البحرين وفى نفس اللحظة هجمت فرسان البحرين على قوات السلطان من الخلف ومن المكان الذى يوجد فيه الآن جسر سترة بالمعامير وأدرك السلطان على الفور أن قواته على وشك أن تقع بين فكى كماشة وان ذلك لو حدث فسوف تتعرض هذه القوات للابادة وقد هاجمت الخيل بالفعل قواته التى انسحبت بسرعة الى خرسان واديان ●● حتى تتفادى هجوم الخيل وأخذ بعضهم يصيح على البعض الآخر لينزلوا هذه الخرسان

● (يجاوش) اصطلاح بحرى توصف به السفينة التى تبحر فى مواجهة الريح مما يجعلها مضطرة للذهاب والعودة مع الميل حتى تصل الى هدفها مما يستغرق منها وقتا طويلا للغاية .

●● الخرسان جمع خريس وهو جدول مائى فى أرض طينية رخوة تنبت فيها بعض الحشائش .

قلعة البحرين

صورة لقلعة البحرين فى ١٨٧٠م عثر عليها مركز الوثائق التاريخية فى مكتبة دائرة الهند بلندن . وتقع هذه القلعة على الساحل الشمالى لجزيرة البحرين . وتحتل موقعا مهما فى نهاية خليج مفتوح . وقد دلت الحفريات على انها قلعة اسلامية فى اسسها وان سبب ارتفاعها انها بنيت على آثار قلعة قديمة ..

وفى ٩٦٩هـ/ ١٥٦٨م جدد بناء القلعة فى عهد وزارة جلال بن مراد شاه ثم جددت ورممت بواسطة البرتغاليين .

قلعة الرفاع

بناها الشيخ سلمان بن احمد الفاتح قبل عام ١٨١٦م وربما بنيت على اسس لقلعة اقدم من ذلك التاريخ . وجاء وصف للقلعة كتبه الكابتن (لوتش) عام ١٨٢٠م عندما زار سمو الشيخ سلمان بن احمد الفاتح فى القلعة وبصحبته الكابتن بروس المقيم السياسى فى بوشهر وبعض الضباط وتناولوا الطعام عنده. هذا الوصف منشور ضمن سطور هذا البحث .

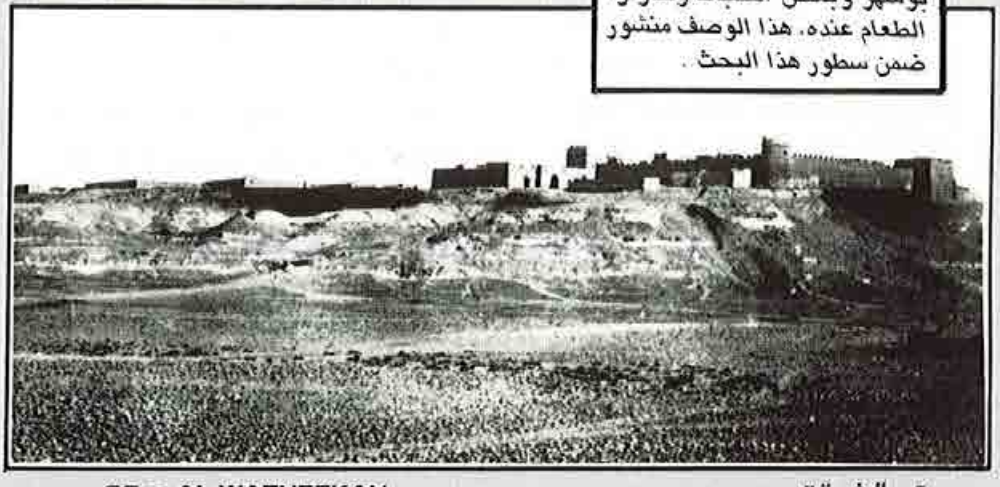

حتى لا تدهمهم الخيل ولم تلبث قوات السلطان أن انهزمت وفر من بقى من جنوده الى السفن لا يلوون على شيء وقد خلفوا وراءهم عددا كبيرا من القتلى بينهم حمد بن سلطان شقيق السلطان سعيد وكانت خسائر البحرين قليلة وقد قتل فى المعركة من جانبهم قاسم بن درباس من ال بنعلى والشيخ محمد بن ابراهيم ال خليفة وأحد أولاد الشيخ عبدالله بن أحمد .

واسرع السلطان بالانسحاب بمن بقى من قواته . وقد بلغت أخبار الهزيمة ارحمة بن جابر الذى كان ما يزال يكافح الريح للوصول الى المنامة فأسرع هو الآخر بالفرار بسفنه الى بوشهر .

بعد وصول السلطان الى مسقط هم بقتل المعتقلين البحرينيين عنده والذين قبض عليهم عندما احتجز سفن البحرين ولكن أخته موزة منعته من ذلك قائلة له انهم أسرى وان الوسيلة الوحيدة للانتقام هى تجهيز حملة ثانية على البحرين اذا كان يريد حقا أن يثأر لمقتل أخيه . فأعاد السلطان تجميع قواته وسار بها الى جزيرة قيس استعدادا لمعاودة الهجوم على البحرين .

وهنا تتبدى حنكة حكام البحرين فى معالجة الامور سلما أو حربا . فقد حاربوا عندما فرضت عليهم الحرب وانتصروا فى حربهم دفاعا عن أرض البحرين ولكن اذا كانت الحرب ضرورية أحيانا فان السلم قد يحقق من النتائج أكثر مما تحققه الحرب وهى السياسة التى اعتمد عليها حكم الشيخ سلمان بن أحمد والتى عرضنا لها فى بداية البحث . فعندما علم الشيخ سلمان بن أحمد بخبر الحشد الجديد أرسل وفدا برئاسة السيد عبدالجليل بن السيد ياسين الطباطبائى ومعه الشيخ حمد بن عبدالله بن أحمد ال خليفة وآخرون ووصل الوفد الى جزيرة قيس فى الوقت المناسب والذى لا شك أن ال خليفة كانوا يدركون جيدا أبعاده وأبعاد الظروف التى تحاصر السلطان الغاضب .. الذى أدرك من موقعه فى جزيرة قيس تلاعب الانجليز وسياستهم فى ضرب القوى المحلية بعضها ببعض كما تبين كما يقول لوريمر فى كتابه أن الايرانيين ينوون الغدر به والقاء القبض عليه وسجنه فى شيراز . وسط هذه الظروف وصل وفد البحرين للتفاوض من أجل الصلح وعرضوا على السلطان مبلغا من المال مقابل فدية أخيه ومقابل اطلاق سراح المعتقلين البحرينيين فى (الجلالى) وقد وافق السلطان على الصلح وتنازل عن ثلاثة أرباع المبلغ الذى سبق الاتفاق عليه .

★★★

ظهر من التحركات الأخيرة ومن